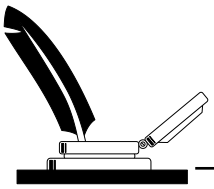

مستقبل الحركة الإسلامية
برنامج لإزالة الحيرة والتساؤلات

رئيس التحرير

في ظل التنافس على كسب ود الحركة الإسلامية وجعلها تحت الإبط من اجل توجيه برامجها وأفكارها وتحديد سقوف رجالها ومفكريها ، في مقابل صياغة شبكات إسلامية معتدلة جديدة تستهدف من ورائها القوى الغربية المهيمنة إلحاق مبرمج لجهود الحركة الإسلامية وهي تعيش عصرها الذهبي ، ومن جهة أخرى تحاول الأنظمة إعادة صياغة الحركات الصوفية للقيام بادوار سياسية في المستقبل لقطع الطريق على الحركة الإسلامية،في مثل هذه الظروف الحساسة تعيش الحركة الإسلامية صورتين متناقضين ،صورة تعبر على تقدم الحركة الإسلامية وانتصارها في مواطن كثيرة ،وصورة تصف عمق الانشطار داخل هذه الحركة الإسلامية والحيرة الكبيرة حول مفردة التجديد السياسي والدعوي للحركة الإسلامية .

وحتى وقت قريب كانت قضية الدعاة والعمل السياسي مدغومة بشكل مطلق ضمن الإشكالية الرئيسية والرائجة المتعلقة بشكل ومستوى العلاقة الناظمة لجدلية الدين والدولة أو الدين والسياسية.

وبما أن السجالات والجدالات كانت تجري وفق السياق السالف، فلم يكن هناك سانحة موضوعية قادرة على إبراز التمايزات والتنويعات بين الكتل والاتجاهات الفكرية والسياسية وامتداداتها الحركية؛ بل كان هناك ما يشبه التوحد والتماثل والاصطفاف نظرا لما كان يحدثه الاستقطاب الحاصل حول الموقف المبدئي العام من هذه القضية.

فقد كان هناك اتجاه غالب يقترب من مستوى الإجماع داخل الإسلاميين يرى في مشروعية ومعقولية -بل ومصلحية- ارتباط الدعاة بالعمل السياسي في إطاره المباشر والكثيف نوعا من التأكيد على صوابية الفكرة الإسلامية في ملمح شمولية الفكرة الإسلامية ووثوقية الصلة بين الإسلام والسياسة.

وقد ارتبطت بذلك حالة من الاهتجاس الشديد بأن يكون هذا الطرح الخاص بالدعاة والسياسة مدخلا لإخفاء تسويغات تجعل للعلمانية المتجملة موطئ قدم في واقع المجتمعات الإسلامية من خلال لافتات براقة.

وقد يسأل البعض سؤالا هجينا : هل تتغير الحركات الإسلامية؟ وهل ستبقى على صورتها الحاليو جمعا بين السياسي والدعوي والاقتصادي والفكري في ظل الشمول الدعوي المعروف والمسلم به ؟ وهل هنالك فرق بين شمول الفهم وشمول العمل ؟ كيف يمكن للحركة الاسلامية ان تواجه المستجدات المتعلقة بالعلاقة بين السياسي والدعوي في واقع يصر البعض على النظر للحركات الإسلامية بوصفها كيانا واحدا وتركيبا متماثلا ورسالة مشتركة، ويصر هذا البعض على أن الحركات الإسلامية لا تتغير، ولكنها قد تأخذ أحيانا شكلا مغايرا، ولكنها في كل الحالات لا تتغير. والبعض ينظر لهذه الحركات بوصفها معادية أصلا للعصر وللتطور، ويرى أنها ليست إلا حركات تكفيرية وقتالية في آن واحد، وإن تعددت مناهجها وسلوكاتها.

طروحات عديدة أصبحت تبرز في نقاشات الإسلاميين من سياسيين ومفكرين ودعاة وفقهاء ،وهي طروحات جديرة بالتوقف والتجلي والمناقشة والحوار العميق كونها ،أي الحركة الإسلامية أصبحت أمل الأمة في التغيير ،لان الأمة تعيش مرحلة حيرة في انتظار مجدد القرن المتحدث عنه في الحديث الشريف –يبعث على رأس كل 100 سنة من يجدد للأمة أمر دينها –

وإذا كان من تفسير لهذا المستجد وذلك التحول، فإن التفسير الأكثر قدرة على كشف حجم تأثير المتغيرات التي أحاطت بالظاهرة يعود إلى زيادة مستوى الاحتكاك الحاصل بين الإسلاميين والعمل السياسي، وما خلقه للإسلاميين من فرص، وما طرحه عليهم من تحديات، وما ترافق مع ذلك من إعادة النظر من لدن بعض المفكرين والناشطين والمحسوبين بشكل أو آخر على معسكر العلمانية.

فالأولون – الإسلاميون– ومن خلال المحكات العملية الكاشفة اتضح لفريق منهم أن القول بقدرة حركة إسلامية ما مهما بلغت قوتها وحجم اتساعها على الوفاء بمقتضيات العمل الدعوي والسياسي والاجتماعي... إلخ ما هو إلا ضرب من العبث، وأن الادعاء بالقدرة على إنجاز ذلك وضرورة الانخراط في المسلكيات المرتبطة بهذه الأنشطة تماهيا مع القول بشمول الفكرة الإسلامية ما هي إلا فكرة طوباوية كان مجال صدقيتها وصوابيتها عالم القناعات المجردة والذهنيات المسبقة، فلما تنزلت هذه القناعات على صفحة الواقع وغاصت في جوف إشكالياته وصعوباته كان لزاما عليها أن تعيد تقييم وتقويم ذاتها دون أن يعني ذلك السيولة والوقوع في شرَك الضبابية والارتباك.

داخل هذا الفريق من الإسلاميين وُجِدت تنويعات أخرى؛ إذ ثمة مَن طالب بضرورة معالجة موضوع الدعوة والسياسة على قاعدة ضبط الأوزان وتقدير الحجوم، ووضع حد

للأسقف من دون أن يطرح أية دعوات لفصم العُرَى بين الدعاة والعمل السياسي. وباختصار يمكن إجمال موقف هؤلاء في دعوتهم لفكرة ترشيد العمل الإسلامي.

إلى جوار هؤلاء ثمة من دعا إلى ضرورة التخصص وتركيز الجهد، سواء بين الحركات الإسلامية ذاتها بحيث تتنوع أدوارها وتتكامل بدلا من أن يكون كل منها خصما من رصيد الآخر. فثمة صعوبة تقارِب الاستحالة في ادعاء القدرة على صوغ سياسات ووضع برامج تأهيل وتكوين لشخصية لها القدرة على الالتحاق بكل المناشط بشكل ناجع دون اكتساب وصف يجعل من شخص ما أو حركة أقرب لهذا المجال أو ذاك في إطار المواقف والرؤى المتصاعدة داخل أروقة الاتجاهات العلمانية والقومية.

يمكن ملاحظة تيار آخذ في التصاعد يدعو إلى ضرورة المراجعة بشأن "الإسلاميين" بعدما أثبتت الشواهد أنهم يمثلون قوة حية ورقما لا يمكن تجاهله، إضافة إلى إعادة صياغة "العلمانية" في ضوء النظر إلى قناعات الشعوب الإسلامية ومكون الخبرة في التجربة الحضارية الإسلامية.

بهذا المعنى لم يعد لدى هؤلاء ما يعوق ولوج المشاريع والرؤى الإسلامية داخل مضمار التنافس السياسي، إلا أن هؤلاء يرون عوائق كثيرة من وجهة نظرهم تحول دون مقبولية الاحتكاك المتزايدة للدعاة بالسياسة، مطالبين بضرورة التمييز بين فضاء العمل السياسي الذي يتطلب اتخاذ مواقف وتقديم رؤى تتواءم وتتناسب ولوازم التنافسية والخصوصية، وهو ما يتعارض مع السمت الجمعي والروحية العامة التي ينبغي على الداعية أن يتحلى بها. وبهذا المعيار كان هؤلاء لا يرون في الأمر تكريسا لمفهوم العلمانية السائد، فالمطلب ليس إقصاء الطروحات والمشاريع ولا السياسيين الإسلاميين، بقدر ما هو ضبط مستوى العلاقة بين الدعاة والعمل السياسي أو الدعوة والعمل السياسي، باعتبار أن المقتضى العقدي هو فضاء واشتراط الأولى، وأن فضاء المواطنة هو مجال واشتراط الثانية.

إننا ندعو بصوت عال إلى :

"مؤتمر فكري دولي للحركة الإسلامية"

لمعالجة إشكالات مطروحة على الساحة الإسلامية اليوم ومنها:

- إشكالية الدعوي والسياسي
- إشكالية وحدة الطليعة الإسلامية
- إشكالية التمثيل الإسلامي على المستوى القطري والإقليمي والعالمي
- إشكالية وعي الجماهير المناصرة للفكرة الإسلامية وصعوبة التحكم في استمرارية وثبات "الوعي الجماهيري الانتخابي" وتحويله الى "وعي جماهيري حقيقي" يناصر الفكرة مهما كانت الظروف والمواقف.

- إشكالية ظروف المعركة وتعدد التقديرات التحليلية لهذه الظروف والدخول في لا توازن الأولويات الإسلامية.
- إشكالية امتلاك القوة والعدة وشروط التمكين للمشروع بعد استخلاف الرجال.
- إشكالية الشرعية وإفقاد سيادة الدول سيادة الدول القطرية في ظل مشاريع العولمة المؤمركة.
- إشكالية المشاركة وعدمها في القرار السياسي والعسكري.
- إشكالية التنظيم والتشكل المطلوب حاليا لتنظيم وترتيب جهود الحركة الإسلامية وتحديد المستهدفات الاستراتيجية.
- إشكالية التطبيع مع إسرائيل والجمع بين مفردة "المشاركة" و "المقاومة"
- إشكالية التعددية في ظل الوحدة والوحدة في ظل التعددية السياسية والموازنة بينهما.

- بغض النظر عن الإشكاليات التقليدية في ملف المرأة والفن والاغتراب والجهاد.

كما أننا ندعو الى ضرورة توجيه البحوث في المجالات الأكثر حيوية، والتي تستهدف:

- الارتفاع في السقف الثقافي والفكري للنخب في الأمة
- الارتفاع في سقف الخصائص
- الارتفاع في سقف الالتزام
- الارتفاع في سقف التخصص والاحتراف الحضاري
- الارتفاع في سقف التخصص الحياتي

وإذا ما ارتفعت النخبة إلى سقوف عالية وخرجت من "النمطية التقليدية" إلى فضاء التجديد استطاعت بعد ذلك أن تتمثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أما إذا بقيت النخبة الإسلامية على حالها من النرجسية والذاتية والانغلاق والعيش بين أضلاع مربع الخداع، فانه سينطبق عليها سجع الأديب: "أمة تنتظر... النخبة تحتضر".

إننا في هذا العدد الثالث من دورية دراسات إسلامية نحاول بعث النقاش من جديد حول جملة هذه المواضيع الحيوية في تاريخ الأمة الإسلامية والحركة الإسلامية ،سواء تعلق الأمر بطرح التساؤلات على الحركات الإسلامية أو في نقد بعض الجوانب التي تحتاج إلى مراجعة أو في وصف الدواء الشافي بغرض الخروج بتوليفة مقبولة وواقعية تعالج هذا الواقع المزمن الذي يراوح مكانه،ونحن بذلك نفتح المجال أمام المناقشات والبحوث التي تدقق المفاهيم والمعاني وتستهدف اقتراح الحلول والبرامج ،دون أي قداسة أو تجني أو إنكار فضل أو جحود انجاز أو إقصاء رأي أو تهميش كفاءة يمكن أن تضيف إلى الأمة جديدا ،ففضاء دراسات إسلامية مفتوح للبحوث الجادة والحيوية ولنا حديث جديد في العدد القادم إن شاء الله .

رئيس التحرير
فاروق أبو سراج الذهب